

## الأميرة الميذية (أوميد) وحادائق المعلّقة

بقلم الأستاذ مصطفى رشيد

عجائب الدنيا السبع القديمة هي: هرم خُوفو في مصر، وحادائق بابل المعلّقة في ميزوبوتاميا، ومعبد آرتميس Artemis في تركيا، وتمثال زيوس Zeus في اليونان، وضريح موسولوس Mausolus في تركيا، وتمثال رودوس Rhodes في اليونان، ومَنارة الإسكندرية في مصر. ولعلّ كثيرين لا يعرفون أن أميرة لُودية ميذية كانت سبب وجود حادائق بابل المعلّقة، وفيما يلي التوضيح.

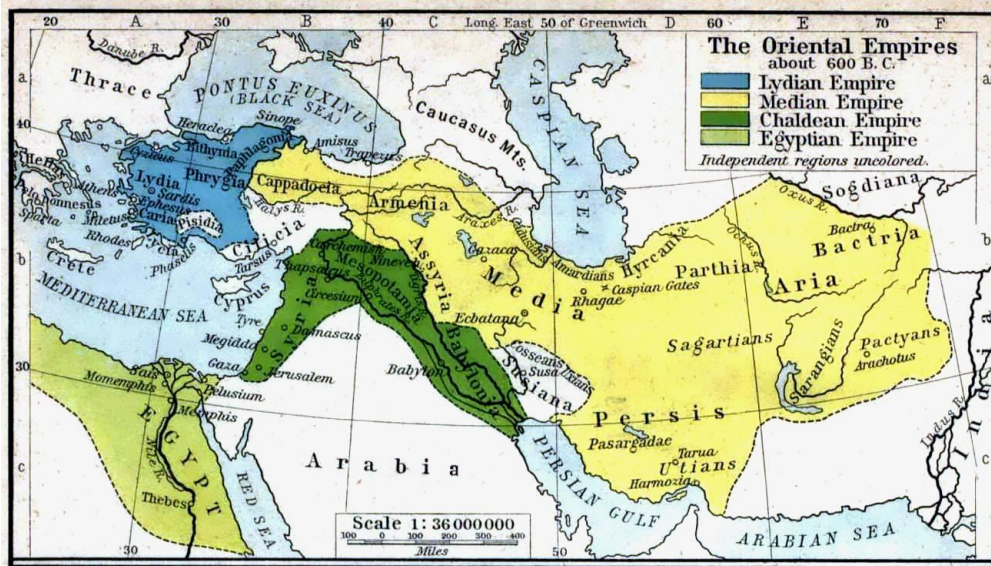
### صراع آشوري - ميذي:

في أوائل الألف الثاني ق.م، احتلّ الآشوريون الجزء الغربي من سوبارتو (الجزء الغربي من إقليم جنوبي كردستان)، وأقاموا فيها مملكة كانت تقوى حيناً وتضعف حيناً، وفي الألف الأول ق.م أصبحت مملكة آشور إمبراطورية مهيمنة على غربي آسيا، ومارست سياسات ظالمة إزاء الشعوب المجاورة، وعاقب ملوكها بقسوة شديدة كلّ خرج على طاعتهم، وكانوا يوجّهون الحملات العسكرية الضخمة، لتأديب الم يديين الثائرين في جبال زاغروس وأطرافها، ولتدمير أية قوّة سياسية منافسة لهم.



وفي القرن الثامن ق م، ظهر زعيم وطني ميدي نكي وشجاع يدعى دياكو (دهياكو) Dioces، فوحد القبائل الميديّة ضمن اتحاد قبلي، وأسس مملكة ميديا، واتخذ مدينة أگباتانا Ecbatana (آمدان/همدان) عاصمة، وكون جيشاً ميدياً، وثار لتحرير ميديا من سيطرة الآشوريين، وبعد عدّة حروب وقع دياكو في الأسر، ثم رفع ابنه فأرأرت Phraortes راية الثورة ضدّ مملكة آشور، وبعد عدّة معارك قُتل في ميدان المعركة.

وجاء دور لكَيُخسرو Kai-Khosru بن فواؤرت في قيادة مملكة ميديا، ومواجهة إمبراطورية آشور، وقد تميّز برؤية إستراتيجية بعيدة المدى، وبسياسة بياغماتية، وخصال قيادية نادرة، فأعاد توحيد القبائل الميديّة، وطوّر المؤسّسات الإدارية، ونظّم الجيش على أسس حديثة، وتحالف مع مملكة إيلام (عيلام) في الجنوب، ومع مملكة بابل الكلدانية في الغرب، وكان تحالفه مع الملك الكلداني Nabopolasser هو الأهمّ إستراتيجياً، وكي يجعل التحالف الميدي - البابلي متيناً، وافق على تزويج ابنته الأميرة أوميد (أميّتس) Amytis (بالكرديّة: الأمل) من وليّ العهد الكلداني ريوخذرصر الثاني Nebuchadnezzar II (بُخُنُصَّر) ابن نابوبولاصر، وتمكّن الميدي والكلدان من القضاء على إمبراطورية آشور سنة 612 ق.م.<sup>(1)</sup>



## آمدان عاصمة ميديا:

تقع العاصمة الميديية أگباتانا (آمدان، سُميت في المصادر العربية : همدان) على سفح جبل ألون Alwand، وكانت مياه الثلوج الذائبة من الجبل تتحوّل إلى ينابيع تسقي العاصمة والمناطق المحيطة بها ،فتجعلها جنة خضراء ، وفي آم دان يقع ضريح الفيلسوف الشهير ابن سينا، وضريح الشاعر الكردي اللّري عزيان (2).



قال الجغرافي القزويني (ت 1283 م) في وصف آمدان : " مدينةٌ عظيمةٌ، لها رُقعة واسعة، وهواءٌ لطيف، وماءٌ عذب ، وثبئةٌ طيبةٌ، ولم تزل محلّ سرير الملوك [عاصمة]، ولا حدّ لرخصها وكثرة الأشجار والفواكه بها، وأهلها أعذبُ الناس

كلاماً، وأحسنهم خُلقاً، وأطفهم طبعاً، ومن خصائصها ألا يكون الإنسان بها حزيناً ولو كان ذا مصائب، الغالبُ على أهلها اللهُو والطَّرب»<sup>(3)</sup>.

اختار الميديون، في عهد ملكهم الأوّل دياكو، آمدان عاصمة لمملكتهم ليس فقط لجمال الطبيعة فيها، بل لأنها كانت تقع على طريق الحرير التجاري العالمي الواصل بين الشرق والغرب، وأمر دياكو بتجميلها وتحسينها، قال المؤرّخ الإغريقي هيرودوت:

"وانصاع الميديون لأوامره مرّة أخرى، فبنوا المدينة التي تُعرف اليوم باسم أڠباتانا، ذات الأسوار الحصينة المنيعة، والتي تُطاول السماء في دوائرٍ ولبية بعضها فوق بعض. أمّا المخطّط فيقوم على أن يعلو كلُّ سورٍ عن السور الذي قبله، وكانت الأرض التي قامت عليها المدينة، وهي تُلُّ مرتفع، يناسب هذا المخطّط إلى حدّ ما، إلا أن الأصل في منعة المدينة هو فنُّ العمارة التي اعتُمِدت، وقد بلغ عدد الدوائر سبعة، يقع القصر الملكي والمستودعات في آخرها.

ودائرة السور الخارجي تكاد تطابق دائرة سور أثينا، والحجارة عند هذا الجدار بيضاء، يليها صفٌّ من الحجر الأسود، فالقرمزي، فالأزرق، والخامس برتقالي، وهذه الصفوف مَطلية جميعها بالدهان. وأمّا الصفان الأخيران من حجارة الجدار فمَ طليان بالفضي والذهبي. وقد شيّد ديوسيس هذه التحصينات كلّها حمايةً لنفسه وقصره"<sup>(4)</sup>.

في هذه العاصمة الملكية الجميلة فتحت الأميرة أُميد عينيها على الحياة، وبين تلك المشاهد الطبيعية الرائعة المتنوّعة ترعرعت، وفي القصر الملكي الشامخ أمضت سنوات شبابها، لكن شاءت الحسابات السياسيّة أن تغادر الأميرة وطنها بجباله الشامخة، وسهوله الخضراء، وأنهاره ونبابيعه وأزاهيره وأطيّاره، وتصبح زوجة لوليّ عهد مملكة بابل.

### حدائق بابل المعلّقة:

لا نعرف بالتحديد السنة التي وصلت فيها الأميرة أُميد إلى العاصمة بابل، لكن لا شكّ أن ذلك كان قبل سنة 612 ق.م، ولا شكّ في أنه كان صعباً على الأميرة الميديّة،



ابنة جبال كردستان، أن تعيش في سهول ميزوپوتاميا الحارة المفتقرة إلى جمال الطبيعة، والمتعرضة لهبوب العواصف الرملية القادمة من الصحراء العربية، ويبدو أن زوجها الملك نَبُوخَذَنْصَر (صار ملكاً سنة 605 ق.م) لاحظ اكتئاب زوجته الجميلة، وتشوقها إلى الحياة في جبال شعبها، فأراد أن يخفف عنها حزنها، وبهيئ في بابل بيئة شبيهة ببيئة جبال ميديا والقصر الملكي في أمّ دان، فأمر ببناء (الحدائق المعلقة) الشهيرة، والتي عُرفت في التاريخ بأنها واحدة من عجائب الدنيا السبع القديمة.



قال ول ديورانت يصف الحدائق المعلقة:

"كان على بعد ستمئة ياردة من برج بابل وإلى شماله ر بوة تسمى القصر، شاد عليها نَبُوخَذَنْصَرُ أروع بيت من بيوته، ويقوم في وسط هذا البناء مسكن ه الرئيسي ذو الجدران الجميلة المشيئة من الآج ر الأصفر، والأرض المفروشة بالآخ رسانة اليبضاء والمُبيقشة، تزوين سطوح ها نقوش بارزة واضحة زرقاء اللون، مصقولة براقه، وتحرس مدخلها أسود ضخمة من حجر البازلت.



(رسم متخيل لحدائق بابل المعلقة)

وكان بالقرب من هذه الرّبوّة حدائقُ بابل المعلّقة الذائعة الصيت؛ التي كان يعبّها اليونان إحدى عجائب العالم السبع، مقامةً على أساطين مستديرة متتالية كلُّ طبقة منها فوق طبقة . وكان سبب إنشائها أن نَبُوخْدَنْصَرَ تزوّج بابنة سَرِيئَسَارِس (كَيْخُسَرُو) ملك الميديين، ولم تكن هذه الأميرة قد اع تادت على شمس بابل الحارة وبثاها، فعاودها الحنين إلى خضرة بلادها الجبلية، ودفعت الشهامة والمروءة نَبُوخْدَنْصَرَ فأنشأ لها هذه الحدائق العجيبة، وغطى سطحها الأعلى بطبقة من الغرين [التربة] الخصب، يبلغ سُمكُها جملةً أقدام، لا تتسع للأزهار والنباتات المختلفة ولا تسمح بتغذيتها فحسب، بل تتسع أيضاً لأكبر الأشجار وأطولها جذوراً وتكفي تربتها لغذائها" (5).



(رسم متخيل آخر لحدائق بابل المعلقة)

وأضاف ول ديورانت يقول:

"وكانت المياه تُرْفَع من نهر الفرات إلى أعلى طبقة في الحديقة بآلات مائية مخبئة في الأساطين ، تتناوب على إدارتها طوائف من العبيد. وفوق هذا السطح الأعلى الذي يرتفع عن الأرض خمساً وسبعين قَ دماً كان نساء القصر يمشين غير محجَّبات آمنات من أعين السُّ وقة [العامة]، تحيط بهن النباتات الغريبة والأزهار العطرة، ومن تحتهن في السهول وفي الشوارع كان السُّوقة من رجال ونساء يحرثون وينسجون، ويبنون، ويحملون الأثقال، ويلدون أبناء وبنات يخلّ فونهم في عملهم بعدم موتهم"<sup>(6)</sup>.



صورة خيالية تالفة للحدائق المعلقة

تلك هي قصة حدائق بابل المعلقة، ولولا الأميرة الميدية أوميد لما وُجدت.

الأربعاء 15 - 4 - 2015

### المراجع:

- 1 - دياكونوف: ميديا، ص 283. طه باقر وآخرون: تاريخ إيران القديم، ص 41.
- 2 - مأمون بك بن بيگه بك: مذكوات مأمون بك بن بيگه بك، ص 23، هامش (42).
- 3 - القرويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص 483.
- 4 - هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ص 77 - 78.
- 5 - ول ديورانت: قصة الحضارة، مجلد 1، ج 2، ص 199.
- 6 - المرجع السابق.